منعت الإنجليز من استخراج
بترول الحجاز وسوريا

كنت أعرف من قبل أنه من أجل العثور على البترول في الأفلاق (في رومانيا) يقوم المختصون بحفر الآبار، وعن طريقها يبحثون عنه.

بعد فترة جاءني السفير الإنجليزي بحجة أن يقول لي خبراً آخر. قال لي: إن قسماً كبيراً من أراضي سوريا والحجاز عبارة عن صحراء، والمعاناة شديدة في هذه الأماكن من العطش، لعدم وجود الماء، ولهذا السبب، فإنه يتعذر تعمير هذه المناطق، ولذا، فإن الحكومة الإنجليزية - إذا أصدرت موافقتي - مستعدة باسم الإنسانية أن تفتح آباراً هناك، ولكن لهذا شروط: إذا تم العثور على الماء، وتكونت واحات، فإنهم سيتركون استخدام الماء الذي سيخرج للأهالي، ولكنهم في هذه الحالة يصبحون أصحاب الماء.

إن مسألة الاتفاق ذاته لا يسير كما أريد.

رفضت الاقتراح، ولم أكتف بهذا، بل أغلقت رسمياً الآبار التي فتحوها بالموصل وبغداد. تأثر الإنجليز أبلغ التأثر بهذا، وغضبوا، وتركوا الآبار كما هي، ولكنهم بدأوا يأخذون على عاتقهم التحرش بمسألة الخلافة، متخذين من جمال الدين الأفغاني وسيلة لمآربهم. كما كانوا يريدون الوصول إلى غايتهم باحتواء أمير الحجاز.

في مقابل هذا قمت بإرسال قافلة كبيرة نوعاً ما من الدراويش إلى مسلمي الهند، وقابل الإنجليز هذا الموقف بإثارة نكبة كريت، وذهبوا لأكثر

من هذا، بأن حاولوا إقناع روسيا وفرنسا بإسقاطي من على العرش، ورفض الروس بلهجة حادة هذا الاقتراح الإنجليزي، لأن إنجلترا كانت ترتب في روسيا حركات تمرد لإجبار القيصر على قبول الحكم الدستوري، كما فعلت تماماً مع الدول العثمانية.

وفي الوقت الذي وقعنا فيه مع إنجلترا في الصراع، بدأت ألمانيا في مد يد الصداقة إلينا، وأيدتنا صراحة في قضية كريت، واختلفت في ذلك مع الدول الكبرى الأخرى.

إن انتصار جيشنا في اليونان قد نبه الألمان وفتح أعينهم، فاقترب مني القيصر (الألماني ويلهلم) لدفع التحالف الفرنسي الإنجليزي الروسي. أما أنا، فلكي أهدد الإنجليز بأني أستطيع فتح طريق الهند للجيوش الألمانية: اقتربت بسرعة من الألمان، وإن كانت أفكارنا في الأصل مختلفة عن بعضها البعض تماماً.

في أثناء هذه الزوبعة وصل القيصر «ويلهلم» إلى إستانبول، فأعددت له استقبالاً فخماً، وألقى القيصر بدوره خطباً رنانة أشاد فيها بكرم ضيافتنا، ولم يتحرج من القول بأنه صديق ثلاثمائة مليون مسلم يعيشون في أرجاء العالم المتفرقة، وبعث من دمشق بخطاب إلى قيصر الروسيا قال له فيه: (إن الدولة العثمانية ليست على وشك الموت، وإنما هي دولة تتلئ حيوية)، كما لم يتحرج القيصر الألماني أيضاً من تهديد قيصر روسيا بقوله: (ابتعد عن مس شرف المسلمين وخليفتهم).

****